حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا اي اللاقون لكن بطريق تصدي الكل
للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل
واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا الثابتين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم و
اختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين بتقدير المضاف اي قال منافقوهم
آمنا لم يصرح به على ذلك بل علموا بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي
المبشر به وانما لم يقتصروا ونعوا على شهادة التوبيخ الاتي واذا خلا بعضهم اي بعض المذكورين
وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين منضمين الى بعض آخر منهم
وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير
اليه انفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون
عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على
ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم
يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من
نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق
لا يقف عليه احد ويجوز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب
في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم
به متعلق بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك
وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم
بذلك ليحتجوا به عليكم فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك
لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة
آرائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند
ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به
او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا الم تحدثونا بما في كتابكم في
الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اخس فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع
الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الاية الكريمة
الاتية كما ستقف عليه باذن الله تعالى افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطاء الفاحش او شيئا
من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او اتعقلون ذلك فلا تعقلون

بطلانه

بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا او
اما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه الخ تجهيل لهم من
من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ايراد خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر و
لحائه على انه في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه ايضا للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف
على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا
يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي ما يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم
في ذلك بطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين
ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في
اية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم
هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به او لا لا بالتحديث به حتى يندفع
بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او للموبخين او لهم وللمحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا
يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار
على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول
علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على
بثوته فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه
علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره
قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء
لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
فان الاصل في تعلق المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار
ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر
في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية
ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف
في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شئون
النساء بل من شئون الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في خلوه عن العلم والكتابة وقيل الى